

قراءة في مخطوط بشراك يا قلب للإمام عبد الكريم المغيلي المتوفى 909 هـ

ط. باجي عبد العزيز / د. عبد الغفار بن نعمة

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

hajeaziz5@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2017/11/16، تاريخ القبول: 2018/03/15

الملخص: كان الإمام عبد الكريم المغيلي مجادلا ومناظرا ومعلما وكاتبا، ورغم ذلك فإن عاطفته الإيمانية لتتوهج حبا وإجلال للنبي صلى الله عليه وسلم، وهذا المخطوط إحدى القصائد التي أنشدها الإمام المغيلي أثناء أدائه لفريضة الحج عند الروضة الشريفة، مبرزا فيها مدى تعلقه وشوقه للنبي صلى الله عليه وسلم، وفرط تأثره بتلك الزيارة.

وكان لابد من التعريف بشخصية الإمام المغيلي الذي برز في فنون كثيرة كالمنطق، والفقه، والبلاغة وغيرها، وتسليط الضوء على أبرز مرحلة في حياته، خاصة فتواه في السياسة الشرعية، التي تعلق بحقوق أهل الذمة، وتعامل المسلمين مع اليهود، والتي كان لها كبير الأثر في عصره.

الكلمات المفتاحية: المخطوط؛ المغيلي؛ التراث؛ الخزانة؛ الزاوية

Abstract:

Imam Abdul Karim Maghili was an arguing, a counterpart, a teacher and a writer. Nevertheless, his faith passion glow of love and pay homage to the Prophet peace be upon him, This manuscript is one of the poems that Imam Maghili spouted during the pilgrimage in the sacred Rawdah, where he highlighted the extent of his attachment and longing to the Prophet peace be upon him, but also his hyper influence with such a visit.

And it had to be a definition of such a character of Imam Maghili that has emerged in many arts as logic, jurisprudence, rhetoric, etc., and to highlight the most prominent stage in his life, especially his fatwa in Islamic politics, which concerned the rights of dhimmis, and the dealing of Muslims with the Jews, which had a significant impact in his time.

مؤلف المخطوط

نسبه ومولده :

هو محمد بن عبد الكريم المغيلي أبو عبد الله¹ وذكر اسمه ونسبته في أحد رسائله فقال : "هذا كتاب من عبد الله تعالى محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني"² ، والمغيلي نسبة إلى مغيلة، قال في اللباب : " المغيلي، بفتح الميم وكسر الغين، هذه النسبة إلى مغيلة وهي قبيلة من البربر."³

أما مولده فلم أعثر عن تاريخ مولده وإن اجتهد بعض المؤرخين في تحديد زمن مولده، يقول يحي بوعزيز : "ولا نعرف بالضبط متى ولد محمد بن عبد الكريم المغيلي، لأن الذين ترجموا له لم يحددوا ذلك، وما اطلعنا عليه من كتاباته هو لم تشر إلى ذلك ولكن يبدو أنه ولد في مطلع القرنين التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي وذلك استنادا إلى تاريخ وفاته."⁴

رحلاته:

ابتدأ الإمام المغيلي حياته العلمية بمسقط رأسه "بتلمسان فحفظ القرآن على يد الشيخ محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي"⁵ ، ثم رحل إلى بجاية يقول أحمد الرقادي : "ثم انتقل برسم الطلب إلى

¹ -درة الحجال في أسماء الرجال أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي ت د محمد الأحمدى ابو النور دار التراث القاهرة ط1-1391هـ 1971 م ج2ص285

² - مصباح الأرواح في أصول الفلاح للمغيلي ت عبد المجيد الخيالي ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1، 1421/ 2001م ، ص21

³ - اللباب في تهذيب الأسماء أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري تحقيق الناشر، دار صادر ، 1400هـ/ 1980م ، بيروت ج3 ص242

⁴ - مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، يحي بوعزيز دار الغرب للنشر والتوزيع ص235

⁵ - الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، د الحمدي أحمد مكتبة الرشاد لطباعة والنشر الجزائر ط الاولى -1433هـ /2012 م ص22

بجاية وأدرك بها مشايخ كثيرين كانوا أجلاء عصورهم وفضلاء أوقاتهم، وبها أخذ جملة وافرة من علوم التفسير، والحديث، والفقه، والأصول، وعلوم العربية، ثم لازم بعد ذلك الإمام الجليل والعلامة النبيل سيدي عبد الرحمن الثعالبي الجزائري... وغادر الجزائر راجعا إلى تلمسان في عام ست وثلاثين وثمانمئة هجرية... فخرج من تلمسان برسم الدعوة إلى الله على عادة أولياء الله، ودخل الرحاب التواتية من منتصف شعبان في عام سبعمائة ونيف وتسعين من الهجرة النبوية⁶ " لا يستقيم، لأنه ولد بمطلع القرن التاسع الهجري، وبها حدثت له نازلة توات مع اليهود.

ثم انتقل إلى فاس ليوضح فتواه، ويدافع عن قضيته يقول يحي بوعزيز: "شد الرحال إليها، وصحبه بعض التلاميذ ليشرح القضية لعلمائها ويوضح أسبابها وأهدافها"⁷، ثم رجع إلى مدينة تمنطيط ومنها انتقل إلى نيجيريا، يقول الأستاذ مقدم: "فرجع لمدينة تمنطيط، وراسل علماء عصره في هذه القضية، ولما يئس من تغيير الأحوال، وانتشرت الأزمة، وانقسم المجتمع إلى مؤيد ورافض، توجه الإمام المغيلي إلى بلاد ألاهير شمال نيجيريا، ومنها توجه إلى بلاد الهوصا، واستقر بمدينة تيقيدا أو تيغيزة حيث كانت مزدهرة... ومنها انتقل إلى كانو ثم إلى كاستينا... وانتقل إلى بلاد تكرور."⁸

كما تعرف الإمام السيوطي بمدينة كاغو على الأسقيا يقول يحي بوعزيز: "و"تعرف على الإمام السيوطي لدى الأسقيا محمد الأول الكبير" و"جرت بينهما مناظرات وردود شعرية في المنطق، وزار بيت الله الحرام حاجا سنة" 1499م - 1500م⁹.

⁶ - محاضرة في التعريف بحياة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، محمد بن مصطفى اعمر الرقادي الكنتي ألفت بمناسبة الاسبوع الثقافي لولاية ادرار سنة 1405هـ / 1984م، ص 16-18

⁷ - تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، أ.د يحي بوعزيز، ص 243

⁸ - محمد بن عبد الكريم التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد، أمبروك مقدم، دار الغرب للنشر والتوزيع ص 29-30

⁹ - تلمسان عاصمة المغرب الأوسط. أ.د يحي بوعزيز، ص 247

وبعدها رجع الإمام المغيلي إلى توات، إثر مقتل ابنه عبد الجبار على يد اليهود، "واستقر
بزاويته بوعلي حتى توفي".¹⁰

شيوخه وتلامذته :

تلمذ الإمام المغيلي على عدد من الشيوخ والعلماء، كان لهم الفضل في تكوينه وبناء
شخصيته العلمية نذكر منهم:

1 - الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، أبو زيد "ت 870 هـ"¹¹ مفسر، من أعيان
الجزائر، زار تونس والمشرق من كتبه الجواهر الحسان في تفسير القرآن أربعة مجلدات، و الأنوار في
المعجزات النبوية، و روضة الأنوار ونزهة الاخيار مجموع، وجامع الأمهات في أحكام العبادات و
الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز و الإرشاد في مصالح العباد و رياض الصالحين".¹²

2- محمد بن أحمد بن عيسى الفقيه المحصل أبو عبد الله ويعرف بابن الجلاب ت 875 هـ¹³

3- محمد بن قاسم الأنصاري، "أبو عبد الله، الرصاع: قاضي الجماعة بتونس ولد بتلمسان ونشأ
واستقر بتونس (831) وعاش وتوفي بها، اقتصر في أواخر أيامه على إمامة جامع الزيتونة والخطابة
فيه، متصدرا للإفتاء وإقراء الفقه والعربية وعرف بالرصاع لأن أحد جدوده كان نجارا يرصع المنابر،
له كتب، منها التسهيل والتقريب، والتصحيح لرواية الجامع الصحيح، وتذكرة المحبين في شرح أسماء
سيد المرسلين "أخذ عن تلامذة ابن عرفة ت 894 هـ"¹⁴.

تلامذته :

¹⁰ - نفس المرجع ص 247

¹¹ - أعلام الفكر والثقافة في الجزائر الخروسة ، أ.د يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر والتوزيع الجزائر، سنة 2009 ج 2 ص 155

¹² - درة المجال في أسماء الرجال، أحمد بن محمد المكتاسي ، ج 3 ص 84

¹³ - الإعلام للزركلي ج 3 ص 33

¹⁴ - نفس المصدر ج 2 ص 297

- 1- إبراهيم بن عبد الجبار بن أحمد، أبو إسحاق الفيجي: فقيه متأدب مغربي. له روضة السلوان و منظومة في قواعد الإسلام ت نحو 920 هـ نحو 1514 م.¹⁵
- 2- محمد بن عبد الجبار الفيجي: "عالم متصوف له إمام كبير بعلوم الحديث وروايته...رحل في طلب العلم إلى تلمسان فأخذ بها عن الشيخ ابن مرزوق الكفيف وطبقته، ثم إلى فاس، حيث قرأ على ابن غازي، وبها التقى محمد بن عبد الكريم المغيلي، حيث لزمه طوال وجوده بها، فأخذ عنه التصوف وكثير من علوم الحديث، والفقه، والعقيدة، والمنطق." ¹⁶ و"توفي سنة 950هـ".¹⁷
- 3- عمر الشيخ بن أحمد البكاي بن محمد الكنتي بن علي: "ولد حوالي عام 865 هـ-1460م وقد درس في بداية حياته على يد والده، ثم رحل إلى بلاد المغرب، ومنها إلى مصر، ومر ببلاد الشام، وأدى فريضة الحج، ثم عاد إلى بلاد التكرور بين نهر السنغال ونهر النيجر، والتقى خلال هذه الأسفار بالمغيلي في السودان الغربي فإلزمه وأخذ بفضائله...وأخذ عن شيخه علوما كثيرة كالفقه والحديث والعربية والسياسة الشرعية والمنطق والفرائض."¹⁸

مؤلفاته :

ترك الإمام المغيلي آثارا علمية في فنون كثيرة، أهمها :

- 1- تفسير سورة الفاتحة
- 2- مفتاح النظر في علم الحديث¹⁹
- 3- شرح مختصر خليل سماه مغني النبيل وصل فيه إلى القسم بين الزوجات.

¹⁵ - نفس المصدر ج 7 ص 5

¹⁶ - درة المجال في أسماء الرجال، أحمد بن محمد المكناسي ، ج 2 ص 140

¹⁷ - الإعلام، الزركلي ج 1 ص 45

¹⁸ - البستان، ابن مريم ص 288

¹⁹ - البستان ابن مريم، ص 255 والإعلام للزركلي ج 6 ص 216

ومختصران في الفرائض، تحقيق محمد شايب شريف، الطبعة الأولى سنة 1433هـ/2012م دار ابن حزم بيروت لبنان

4- لب اللباب في رد الفكر إلى الصواب، وهو مطبوع حققه أبو بكر بلقاسم دار ابن حزم بيروت لبنان الطبعة الأولى 1428هـ/2006م

5- مصباح الأرواح في أصول الفلاح، وهي رسالة في أهل الذمة مطبوعة مع رسالة الإعلام بما أغفله الأعوام للشيخ أبي القاسم بن محمد بن مرزوق تحقيق عبد المجيد الخيالي، الطبعة الأولى 1421هـ/2001م دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

6- شرح التبيان في علم البيان، طبعته دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 2010، كما له مصنفات في اللغة، وعدة قصائد، قال ابن مريم: "ومقدمة في العربية... وعدة قصائد منها الميمية على وزن البردة ورويتها في مدحه صلى الله عليه وسلم"²⁰ وهذه الميمية هي محل الدراسة.

وفاته :

توفي الإمام المغيلي على المشهور سنة 909 هـ بتوات ودفن بزاويته، قال يحي بوعزيز: "وتوفي في العام الموالي 1504م-911هـ"²¹.

موقفه من قضايا عصره :

عرف عصر الإمام المغيلي توسع اليهود واستغلالهم ضعف الدولة وسيطرتهم على التجارة، وتوليهم المناصب وبناء البيع والمعابد، يقول أبو القاسم سعد الله: "فقد وجد اليهود صولتهم حينما أحسوا بضعف الدولة السياسي داخليا وخارجيا فتواطؤوا مع بعض الأمراء على مدهم بالمال

²⁰ - البستان، ابن مريم ص256

²¹ - أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، يحي بوعزيز ج2 ص155

والدعاية لهم، بل وتوليتهم، بينما الأمراء يسمحون أو يتغاضون عن بناء اليهود بيعا لهم، وفتح المتاجر وتأسيس الشركات والاستلاء على الطرق التجارية.²²

ولما رأى الإمام المغيلي هذا الحال، وانطلاقا من واجب تغيير المنكر، أصدر فتواه في محاربة اليهود، وهدم بيعهم، لأنهم لم يلتزموا واجبات أهل الذمة، يقول رحمه الله: "أما بعد فقد سألتني بعض الأخيار، عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، وعما يلزم أهل الذمة من الجزية والذلة والصغار، وعما عليه أكثر اليهود هذا الزمان من التعدي والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشرطة، وخدمة السلطان.

فأقول والله المستعان، وكل جنس إلى جنسه ماله من جميع الحيوانات، فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض، والكافرون بعضهم أولياء بعض... والحاصل أنه لا يقرب كافرا من نفسه أو عياله، أو يستعمله في أعماله، أو يجعل بيده شيئا من ماله إلا من لا دين له، ولا عقل ولا مروءة".²³ ولم يكتف بحرمة التعامل معهم، بل أحل دمائهم وأوجب الجزية عليهم فقال: "لاشك أن اليهود المذكورين كيهود توات وتحراروين، وتافيلالت، ودرعة، وكثير من الأوطان في إفريقية وتلمسان، قد حلت دماؤهم، وأمواهم، وأولادهم، ونسأؤهم، ولا ذمة لهم، لأن الذمة التي ترفع السيف عنهم هي الذمة الشرعية لا ذمة الجاهلية، وإنما تكون لهم الذمة الشرعية بإعطاء الجزية المرعية، وهي كونها يعطونها عن يد وهم صاغرون"²⁴.

ودعا إلى هدم كناسهم ومعابدهم، فقال: "فلا خلاف بين علماء الأمة أجمعين، أنه لا يحل إحداث كنيسة في شيء من بلاد المؤمنين، ولا إقامة بيت لضاللتهم، ولو أعطوا على ذلك ملء الأرض ذهباً، وإن كانت الأرض التي أردوا أن يفعلوا ذلك فيها ملكا لهم بجهة أو شراء أو غيرها،

²² - تاريخ الجزائر الثقافي، د أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط الأولى، ج1 ص53

²³ - رسالة في اليهود محمد بن عبد الكريم المغيلي، ت عبد الرحيم بن حادة، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، ط الأولى، 2005م، ص53-55

²⁴ - نفس المصدر ص76، 77

فإن أذن لهم في ذلك سلطان أو قاض أو غيرهما من ولاية الأمر، وجب نقض إذنه، وهدم ما بنوه، إذ لا يكون إذن أحد ولا حكمه مانعا من إقامة الحق وتغيير المنكر كائننا من كان وإن طال الزمان.²⁵

موقف العلماء من فتوى الإمام المغيلي :

اختلفت اجتهادات العلماء حول فتوى الإمام المغيلي، فمنهم من خالفه وشنع عليه، ومنهم من وافقه، ومن خالفه الإمام العسوني، يقول التنبكتي : "ونازعه في ذلك الفقيه عبد الله العسوني قاضي توات.²⁶ ومن الذين أيدوه، الإمام السنوسي والحافظ التنسي وغيرهما، يقول التنبكتي: "ووافقه عليها الإمام السنوسي :فمما كتب له من عبيد الله محمد بن يوسف السنوسي إلى الأخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي القيام بها لاسيما في هذا الوقت علم على الاتسام بالذكورة العلمية والغيرة الإسلامية وعمارة القلب بالإيمان السيد أبي عبد الله ابن عبد الكريم المغيلي حفظ الله حياته وبارك في دينه ودنياه...²⁷

ومهما كان الصواب ،سواء أكان معه، أو مع غيره، فإن فتوى الإمام المغيلي أظهرت جانبا من شخصيته، وشجاعته، وبغضه لليهود، وما فعلوه بالمسلمين، وغيرته على الإسلام، كما أظهرت اجتهاده في معالجته لقضايا عصره.

مكان تواجد المخطوط:

يوجد هذا المخطوط بزواية سيدي المداني بلحاج، بلدية الواتة، ولاية بشار، بالجزائر، غير مرقمة تصنيف مدح النبي صلى الله عليه وسلم، بعنوان بشارك يا قلب للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي.

²⁵ - نفس المصدر ص77

²⁶ -نيل الإبتهاج بتطريزالدباح التنبكتي، دار الكاتب طرابلس، ط الثانية، ص576

²⁷ - تلمسان عاصمة المغرب الأوسط أ.د يحي بوعزيز ص247

الإطار الزمني والمكاني :

عاش الإمام المغيلي في القرن التاسع الهجري والخامس عشر ميلادي، ونظم هذه القصيدة أثناء رحلته للحج وزيارته للمصطفى صلى الله عليه وسلم، وبناء على سنة حجه فتكون هذه القصيدة قد نظمها سنة (1499م - 1500م) في الروضة الشريفة، وقد كتب في بداية المخطوط هذه القصيدة للإمام المغيلي الشيخ ابن عبد الكريم لما وقف على الروضة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام²⁸.

وصف المخطوط :

اعتمدت هذه الدراسة على نسخة تقع في أربع ورقات، باللون الأسود والخط المغربي، ومسطرتها 9 تحت مقاس (11,17 ع 11,5)، وعدد أبياتها 27 بيتا وكاتبها مجهول، وكتب في آخر الورقة بعض أسماء الله الحسنى وفائدتها "الله الوهاب الرزاق الفتاح الخالق..."²⁹ والظاهر أنها كتبت مؤخرا ولا علاقة لها بالإمام المغيلي ولا بكاتب النظم، لاختلاف الخط واللون والمضمون أيضا، كما تميز المخطوط بوضوح كتابته، وجودته، وسلامته من التمزيق.

كما يلاحظ عليه من حيث المعنى، بعض الأخطاء النحوية، ومن أمثلة ذلك "سيد" بالنصب ومن المفروض أن تكون مضمومة، كذلك خفض أسماء كثيرة من غير سبب، "وهذه حضرة"، "وهذه الروضة" و"هذه القبة" و"ومنير"، كذلك الخطأ في مثل قوله: "فجود عليه بما يرجون" وصوابه فجود عليه بما يرجو، وهذه الأخطاء تدل على أن الناسخ هو غير الناظم، لرسوخ الناظم في فنون كثيرة، لاسيما في اللغة العربية والنحو.

²⁸ - مخطوطة بشراك يا قلب للشيخ عبد الكريم المغيلي ص1

²⁹ - المصدر السابق، ص4

الورقة الأولى :

في أعلى الورقة كتب بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وكتب تحتها هذه القصيدة للإمام المغيلي الشيخ ابن عبد الكريم لما وقف على الروضة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

واستهل قصيدته بقوله:

بشراك ياقلب هذا سيد الأمم	وهذه حضرة المختار في الحرم
وهذه الروضة الغراء ظاهرة	وهذه القبة الخضراء كالعلم

الورقة الأخيرة:

ثم الصلاة وتسليم الإله على	هذا النبي الرفيع القدر والشم
محمد المصطفى والآل ثم على	أصحابه ماسار ركب لربهم

مضمون المخطوط :

تعتبر هذه القصيدة من البحر البسيط ومفتاحه كما نظمته صفى الدين الحلبي³⁰ هو :

إن البسيط لديه يبسط الأمل مستفعّل فاعلن مستفعّلن فعل

وقد تستبدل فاعلن بفاعل أو بفعلن، كما أنه يمكن أن تأتي مستفعّلن بحذف السين متفعّلن وهذه القصيدة ميمية القافية، موضوعها مدح النبي صلى الله عليه وسلم، استهل مطلعها الإمام المغيلي بفرحه بهذه الزيارة واستحضار مقام النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام ووصفه للروضة الشريفة بقوله:

³⁰ - ديوان صفى الدين الحلبي ، دار صادر، بيروت ، ص621

بشراك يا قلب هذا سيد الأمم وهذه حضرة المختار في الحرم
وهذه الروضة الغراء ظاهرة وهذه القبة الخضراء كالعلم
ومنبر المصطفى الهادي وحجرته وصحبه وبقيع دائر بهم

ثم انتقل إلى بث شكواه، وندائه للمصطفى صلى الله عليه وسلم وإلى صحبه الكرام ، طالبا
الشفاعة ، مستحضرا كرم النبي صلى الله عليه وسلم تارة وتعظيمه تارة أخرى بقوله :

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي يا من لقاصده أمن من النقم

ثم يصف سعيه وتعظيمه لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم فيقول:

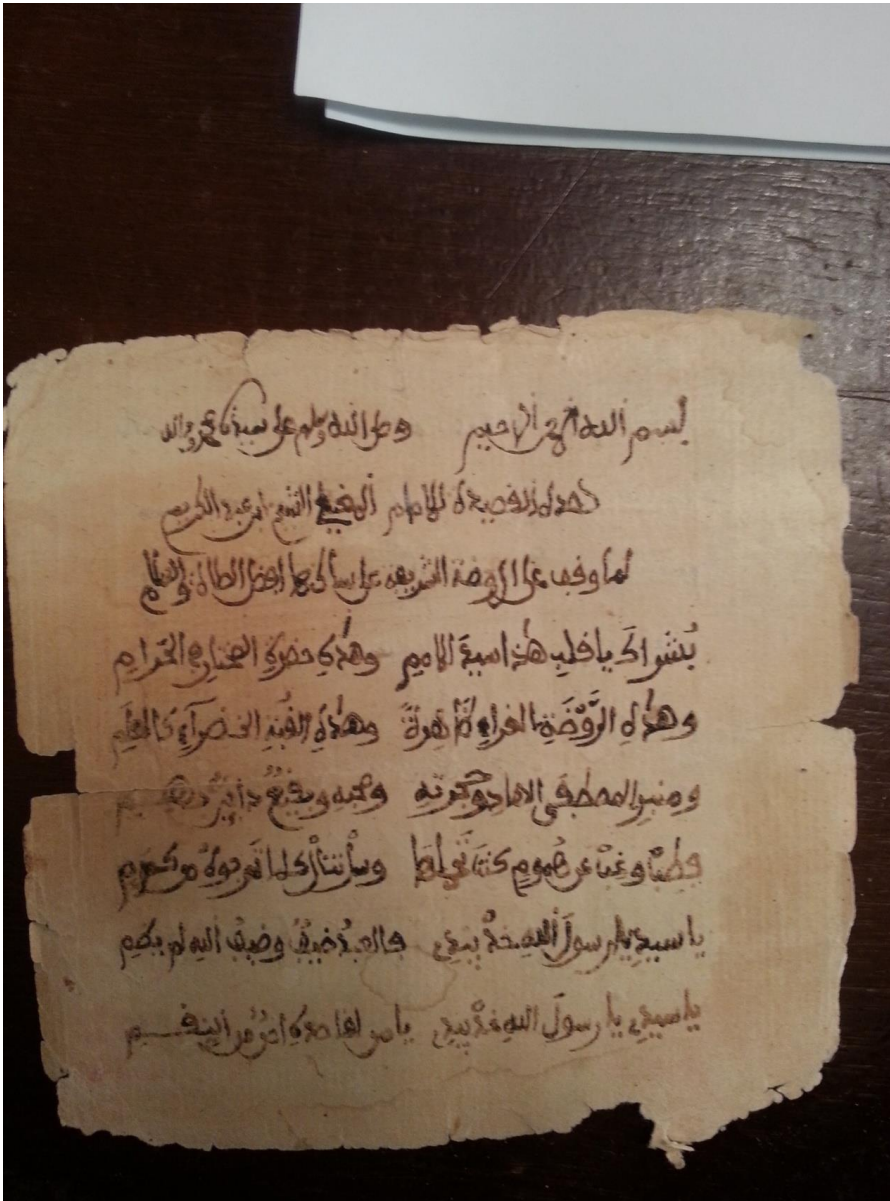
وقد سعيت إلى أبواب حجرتكم سعيًا على الرأس لا على القدم
أتى من أم القرى يرجو القرى كرمًا من سادتهم بحور الجود والكرم
فإن قبلتم فإني مفلح بكم لزورة واغترار وافر القسم
يا من أجل ملوك الأرض قاطبة في باب أفضلهم من أصغر الخدم

ثم يختم قصيدته بمناجاة الله ، راجيا العفو والأمان ، متوسلا ومصليا على النبي وصحبه الكرام،

قائلا:

يارب يا رب يا مولى عبدك في باب الرجا يرتجي أمنا من النقم
فجود عليه بما يرجون من كرم فقد توسل في الدنيا بحقهم
ثم الصلاة وتسليم الإله على هذا النبي الرفيع القدر والشيم
محمد المصطفى والآل ثم على أصحابه ما سار ركب لربهم

الصفحة الأولى من المخطوط



الصفحة الأخيرة من المخطوط

